# التكوين العقلي وهوية الذكاء البشري

**أ.د. عباس علي شلال ***

* الجامعة المستنصرية- كلية التربية الاساسية

De.abbasshallal@yahoo.com

ملخص :

**تخلو** المكتبة العربية الى حد ما من بحوث نظرية تناقش بطريقة ناقدة المفاهيم الاجتماعية والنفسية المتداولة لدى الناس بصورة عامة ومتداولة لدى الدارسين والباحثين والمتخصصين بصورة خاصة، وان الهدف من البحث الحالي تقديم قراءة نظرية لموضوعات تتعلق بالشخصية الانسانية في بعدها المعرفي (العقلي) منها مفهوم التنظيم العقلي والذكاء، وذلك من خلال تقديم مراجعة تاريخية للمفهوم، والتعرض لمفاهيم ذات العلاقة (نسبة الذكاء-تأثير فلين) وموضوع الفروق الفردية. وايضا يحاول البحث الحالي الاجابة عن مجموعة اسئلة افتراضية، قد تكون اجاباتها بمثابة قاعدة تفسيرية لمعنى التكوين العقلي والذكاء الانساني والدلالات المرتبطة به.

**كلمات مفتاحية** : التكوين العقلي-الذكاء-الفروق الفردية-نسبة الذكاء-تأثير فلين

## Mental formation and identity of human intelligence

**Prof. Dr. Abbas Ali Shallal**
**Al-Mustansiriya University - College of Basic Education**

**ABSTRACT:**

The Arab library is somewhat devoid of theoretical research that discusses in a critical manner the social and psychological concepts circulating among people in general and circulating among scholars, researchers, and specialists in particular. The aim of the current research

is to provide a theoretical reading of topics related to human personality in its cognitive (mental) dimension, including the concept of mental organization and intelligence, by providing a historical review of the concept, exposure to related concepts (IQ ratio - Flynn effect), and the subject of individual differences.

In addition, the current research attempts to answer a set of hypothetical questions, the answers of which may serve as an explanatory base for the meaning of mental formation and human intelligence and the connotations associated with it.

**Keywords:** mental formation - intelligence - individual differences - IQ - Flynn effect

**التكوين العقلي**

ميّز العلماء في التكوين النفسي للشخصية بين تنظيمين رئيسين، أحدهما يعرف **بالتنظيم العقلي**، وهو يتعلق بالمعرفة وإدراك الفرد للعالم الخارجي وفهم موضوعاته وإدراكه لما بينها من تشابه أو اختلاف وتضاد، وقدرته على حل المشكلات التي تواجهه؛ والآخر يعرف **بالتنظيم الانفعالي**، وهو ما تجتمع وتنتظم فيه كل أساليب النشاط الإنفعالي، وهـي تلك التي تعكس دوافـع الفرد وميوله وإتجاهاته، وتميز طريقة تعامله ومواجهته للمواقف المختلفة.

**التنظيم العقلي، وهو يتعلق بالمعرفة وإدراك الفرد للعالم الخارجي وفهم موضوعاته وإدراكه لما بينها من تشابه أو اختلاف وتضاد**

ويسمي بعضهم النواحي العقلية الأداء الأقصى، أي ان التنظيم العقلي يتضمن جميع العمليات المرتبطة بتفكير الفرد، وفهم واستيعاب الخبرات الجديدة، وعمليات الحفظ والتخزين والاسترجاع وكل ما يتعلق بعمليات التذكر، وما ارتبط بمهارات التعلم والتعليم والتحصيل والاكتساب، والنشاطات المنطقية والمعرفية العليا كالتصور والتخيل والاستشراف، والابداع، والابتكار في المجالات المختلفة.

وكان عالم النفس كرونباخ Cronbach يفصل ويميز نوعين من الأداء لكل فرد هما **الأداء الأقصى، والأداء المميز**، والأول يشير إلى الأداء الذي يقدمه أي فرد عندما يحاول أن يقوم بأفضل ما لديه من إمكانات وقدرات تجاه موقف ما، فإنه يبذل أقصى جهد يمتلكه لمواجهة الموقف المعين، كما في الإجابة على الإختبارات العقلية، أو في إجابة الطلبة على أوراق الإمتحانات المدرسية والإختبارات التحصيلية؛ أما الثاني فهو ما يؤديه الفرد بالفعل، وأسلوبه في الأداء، وأسباب إختيار هذا الأداء وهذا الأسلوب، أي إنه يكشف عن دوافع الفرد وسماته الشخصية الإنفعالية، وعن ميوله، وهو ما يصدر عن التكوين الوجداني من نشاط، وتميز طريقته في مواجهة المشكلات وهو ما يطلق عليه الأداء المميز.

**كان عالم النفس كرونباخ Cronbach يفصل ويميز نوعين من الأداء لكل فرد هما الأداء الأقصى، والأداء المميز**

لذلك وعند مراجعة الأدبيات والدراسات التي تناولت التنظيم العقلي وتكوينه لدى الفرد، نراها تحاول الإجابة عن أسئلة مركزة حول:

- ماذا يستطيع هذا الفرد أن يفعل ؟
- وما درجة ومستوى تلك الإستطاعة لدى كل فرد ؟
- ولماذا يختلف الأفراد في إستطاعتهم لفعل الأشياء ومواجهة المواقف ؟
- وما أصل تلك الإستطاعة ؟ وما مصدر وجودها ؟
- وما دور وفاعلية العامل الجيني، فضلا عن المؤثر البيئي فيها ؟
- وهل تتغير تلك الإستطاعة من فترة لأخرى ومن موقف لآخر ؟

والإجابة عن هذه الأسئلة الدقيقة وغيرها من الأسئلة ذات العلاقة تشكل حزمة من المؤشرات والدلائل التي تزيد من فهمنا لطبيعة التكوين العقلي والأداء الأقصى للفرد، وإمكانية التنبؤ به، فضلا عن ضبطه والتحكم فيه.

ومن جانب آخر نرى إن أدبيات ودراسات التنظيم الإنفعالي وسمات الشخصية المختلفة تحاول الإجابة عن أسئلة أخرى مثل:

- لماذا يسلك الفرد بهذه الطريقة ؟
- ولماذا يختلف شخص عن آخر في طبيعة إنفعاله ومزاجه ؟
- وكيف يواجه الأشخاص ما يتعرضون له من مواقف وضغوط ؟
- وما درجة ثقته بنفسه ؟
- وما الأسباب التي دعته لأن تكون هذه إستجابته ؟
- لماذا يضطرب سلوك بعض الأفراد ؟ ولماذا يمرضون ؟

وجميع هذه الأسئلة وغيرها الكثير إنما تستهدف الحصول على إجابات لفهم نظام البشر غير العقلي، أي المهارات والنشاطات والتفاعلات والسلوكات ذات العلاقة بوظائف الشخصية وأدوارها في الحياة الخاصة للشخص وكذلك في حياته العامة ومتعلقاته الـ بين شخصية، والاجتماعية، والأسرية، والمهنية ..الخ، وايضا تنتج هذه الإجابات مكسباً كبيراً يتمثله الوعي والإدراك بالشخصية البشرية وبوظائفها المتعددة، ثم التنبؤ بإفرازاتها ونتاجها، فضلاً عن ضبطها والتحكم بها.

**دراسة التنظيم العقلي لدى الإنسان وما يتضمنه من ذكاء وقدرات وإستعدادات، يعد من أهم موضوعات علم النفس التي تهم الفرد ذاته**

إن دراسة التنظيم العقلي لدى الإنسان وما يتضمنه من ذكاء وقدرات وإستعدادات، يعد من أهم موضوعات علم النفس التي تهم الفرد ذاته، وتهم كل من يرتبط به من الآباء والمعلمين والمربين والمدرسين والعاملين في مجالات الحياة المختلفة كالشخصية الذاتية والأسرية والاجتماعية والأكاديمية والمهنية، فالمجال الرئيس لهذه الأدبيات والدراسات هو:

- ❖ البحث الكمي للفروق الفردية في المكونات العقلية.
- ❖ وتفسير هذه الفروق.
- ❖ وكيف تتأثر هذه الفروق بعوامل ومتغيرات كثيرة كالنمو والتدريب والتعلم.
- ❖ وكيف تتشكل وترتبط هذه المكونات في هيأة نظام معين.
- ❖ كما يمتد أيضاً إلى تقنيات واساليب القياس فيها، والشروط الواجب توافرها في هذه التقنيات والأساليب.

**الذكاء البشري**

مفردة الذكاء أكثر المفردات استعمالاً وشيوعاً في كثير من الحوارات والاختصاصات وميادين العمل، وأصبحت لازمة مهمة وشرطاً ضرورياً لتقييم أداءات الأفراد والحكم على مدى صلاحيتهم وملائمتهم وتقدمهم في أي نشاط او مهنة او تكليف.

ومن المؤكد والملاحظ ان تلك الإستعمالات تختلف من شخص لآخر وتختلف من مجتمع الى آخر، وتختلف حسب التكليف والمهمة والمهنة موضع التقييم، فهي «مفردة الذكاء» تستعمل بمستوى ومعنى معين لدى الأشخاص خارج المؤسسة العلمية المتخصصة بطريقة وبأسلوب مختلف عنها لدى الأشخاص المتخصصين، كما انها تستعمل بدلالة ما في توصيف مهارة معينة ليس كما تستعمل في دلالتها وتوصيفها مهارات كثيرة أخرى كما نلحظ ذلك في استعمالات الذكاء في تأليف كتاب أو قصة أو قصيدة شعرية، أو في صناعة أو صيانة جهاز أو آلة معينة، او في إستعمالات أخرى كالذكاء في قيادة المركبات، والذكاء في ادارة الكرة أثناء اللعب، والذكاء في تأليف مقطوعة موسيقية او تكوين لوحة فنية من الرسم، او التمثيل، او النقش والنحت وما شابه، والذكاء في إدارة الذات، والذكاء في إدارة الأشياء أو إدارة الآخرين.. وهكذا.

**«مفردة الذكاء» تستعمل بمستوى ومعنى معين لدى الأشخاص خارج المؤسسة العلمية المتخصصة بطريقة وبأسلوب مختلف عنها لدى الأشخاص المتخصصين**

إذن الذكاء كمفردة «**مصطلح ومفهوم**» ليس كغيرها من المفردات المتداولة والشائعة الإستعمال بل هي مفردة ديناميكية مرنة متغيرة يمكن لها أن تمثل معاني كثيرة جدا جدا، ويمكن وصفها بأنواع متعددة من السلوك، كما يمكن تكميم وجودها بأكثر من أسلوب وبأكثر من صورة.

أما المعنى والمفهوم الحديث للذكاء فيرجع بطريقة وأخرى الى جهود الفيلسوف **سبنسر** والذي قام بمتابعة أرسطو والمدرسة الأسكتلندية في الفلسفة -واعترف بوجود جانبين للحياة العقلية،

هما: الجانب المعرفي والجانب الوجداني- وتتضمن الناحية المعرفية العمليات التحليلية من جهة والعمليات التركيبية من جهة أخرى، وتكون الوظيفة المعرفية الرئيسة هي مساعدة الإنسان على التكيف مع بيئته المتغيرة بطريقة أكثر فاعلية، أما الناحية الوجدانية فتمثل التعبيرات النفسية ونتاج وظائف الشخصية النفسية كالعواطف والميول والرغبات وبعض الإستجابات المرضية.

وعليه يمكن القول ان نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ونتيجة التلاقح بين إتجاهات نظرية متنوعة وكثيرة ونتيجة الإخصاب تمت ولادة مفهوم مستقل إستقلالاً حقيقياً عن غيره من المفاهيم، ويعبر عن نشاط وسلوك واضح وتكون له السيادة والريادة في إدارة الإنسان وما يتعلق به من وجودات معنوية ومادية، بل تقف عليه وتستند اليه سائر الوجودات في نموها وتطورها وحركة أداءاتها والذي عبروا عنه بمصطلح **الذكاء**.

**وتكون الوظيفة المعرفية الرئيسة هي مساعدة الإنسان على التكيف مع بيئته المتغيرة بطريقة أكثر فاعلية**

وفي هذه الفترة تحديداً -نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين- كان الاهتمام بالغاً وكبيرا بهذا المفهوم وما تقف خلفه من نشاطات وعمليات وهي نتيجة حتمية لبروز الاهتمامات العلمية الحديثة وظهور اتجاهات نظرية متنافسة لفهم السلوك الانساني من جانب، ومن جانب آخر ظهور ملامح وبوادر الصراعات السياسية والحروب والسعي للتمكن العلمي والسيطرة في الميادين السياسية والحربية والصناعات العسكرية وما يرافقها من متطلبات الاقتدار والتمكن والتي هي بأمس الحاجة الى الاكتشاف والتعرف على الأفراد الأكثر كفاءة والأقدر تمكناً وأداءً للإفادة منهم واستثمارهم في مستقبل الدول والمجتمعات.

وينبغي ايضا أن نشير الى ان تطور النظرة الى الفروق الفردية في النشاط العقلي ونتاجاته الملاحظة سواء في الحياة العامة أم الأعمال المهنية أم تلك الملاحظة في البيئة التعليمية هي من ألقت بظلالها وحفزت الى الابحار أكثر نحو التعرف على سبب تلك الفروق،

وعن حدود تلك الفروق، وعن الأساليب التي تمكن العاملين هنا في التعرف على درجات ومديات تلك الفروق وحتمًا فأن المقاصد والغايات كانت كبيرة وكثيرة.

**نسبة الذكاء**

أما مصطلح نسبة الذكاء Intelligence quotient ويُعرف إختصاراً (IQ) فهو الدرجة الكلية المشتقة من عدة اختبارات قياسية مصممة لقياس الذكاء البشري، وان عـالـم النفس الألماني صاحب الإهتمامات الكبيرة والإنجازات الثرّة في مجالات التعلم والتعليم ويليام شتيرن (William Stern 1871–1938) هو أول من عمد الى صياغة إختصار (IQ) للمصطلح المتداول في اللغة الالمانية -Intel ligenz Quotient كمصطلح للتعبير عن حاصل الذكاء، وعن طريقة القياس في اختبارات الذكاء في جامعة فروتسواف والتي أيدها في كتابه المنشور عام 1912.

وعندما جرى تطوير اختبارات نسبة الذكاء الحالية، تم تحديد متوسط نتيجة اختبار الذكاء للعينات المتوسطة بقيمة (100) مع وجود انحراف معياري قيمته (15) درجة أعلى أو أقل بحيث تتوافق الدرجات مع منحنى التوزيع الطبيعي، وتشير الأبحاث والدراسات المستفيضة في هذا السياق -آنذاك- الى ان نسبة الذكاء لحوالي ثلثي المجتمعات البشرية تتراوح ما بين (85) درجة و(115) درجة؛ أما حوالي نسبة (2.5) في المائة فقط من نتائج المجتمعات البشرية هي أعلى من (130) درجة على المقياس؛ كما ان نسبة (2.5) في المائة وأقل منهم يبلغ معدل ذكائها (70) درجة فقط.

**وتشير الأبحاث والدراسات المستفيضة في هذا السياق -آنذاك- الى ان نسبة الذكاء لحوالي ثلثي المجتمعات البشرية تتراوح ما بين (85) درجة و(115) درجة**

وتُستخدم نتائج نسبة الذكاء كتقديرات للذكاء، وتُستخدم ايضا من أجل إختبارات تحديد المستوى التعليمي، وقياس الإعاقة العقلية-الذهنية، وتقويم وتسكين المتقدمين للوظائف؛ كما تستخدم نسبة الذكاء في سياق الأبحاث كمؤشرات على الأداء الوظيفي، وايضا في

دراسة توزيع المستوى المعرفي والعقلي بين الأفراد والمجتمعات، والعلاقات بينه وبين المتغيرات الأخرى، ويمكن أن تعطينا دراسة الأنماط المختلفة للمعدلات في نتائج الاختبار فكرة جيدة عن الذكاء البشري.

**تأثير فلِن Flynn effect**

يشير هذا التأثير الى الزيادة الجوهرية والمتواصلة في نتائج اختبارات الذكاء عبر الزمن والتي قيست على عينات مختلفة وفي مناطق جغرافية متعددة.

ويشير «**تأثير فلن**» إلى الإرتفاع الملحوظ في درجات معدل الذكاء بمرور الوقت، مما أدى إلى تقادم المعايير، على الرغم من ان تأثير فلن مقبول على نطاق واسع، فقد اعتمدت معظم مناهج تقديره على مناهج «بطاقة الأداء» التي تجعل تقديرات حجمها وخطأها في القياس مثيرة للجدل وتمنع تحديد العوامل التي تخفف من تأثير فلن عبر اختبارات الذكاء المختلفة.

**ويشير «تأثير فلن» إلى الإرتفاع الملحوظ في درجات معدل الذكاء بمرور الوقت**

ويعود أصل المصطلح وتسميته بـ تأثير فلن الى **جيمس روبيرت فلن James Robert Flynn** الذي فعل الكثير لتوثيق هذا التأثير وتعزيز الوعي حول تضميناته والآثار المترتبة عليه، وقد قام بصياغة المصطلح علمياً كل من ريتشارد هيرنشتاين وتشارلز موراي، مؤلفا كتاب **جرس المنحى**، وان كثير من الكتب والمراجع في علم النفس اتبعت خطة هيرنشتاين وموراي في تسمية الظاهرة بـ تأثير فلن.

ويرتبط هذا التأثير عادة بنسبة الذكاء المحددة، فغالبًا ما تتغير نسبة الذكاء لدى أي نوع من العينات بعد تعاقب الأجيال بتعاقب العقود والحقب الزمنية، وفي الأغلب يكون هذا التغيير للأعلى والزيادة في النسبة.

وتتزايد نتائج الاختبار باستمرار وبصورة خطية تقريبًا منذ السنوات الأولى لتطبيق الاختبارات وحتى وقتنا الحاضر، مثال على ذلك فإن **اختبار رافن للمصفوفات المتتابعة** وفي احدى الدراسات الحديثة

والتي نُشرت عام 2009 وجد ان متوسط نتائج الأطفال البريطانيين ارتفع (14) نقطة منذ تطبيقه في عام (1942) الى وقت تطبيقه في عام (2008)، وتم الكشف عن ارتفاعات مماثلة في كثير من الدول الأخرى والتي تواجدت فيها اختبارات نسبة الذكاء منذ زمن طويل مثل دول أوروبا الغربية واليابان وكوريا الجنوبية.

ويقترح بعض الباحثين ان هناك تأثير فلِن معاكس أي انحدار في نتائج اختبارات نسبة الذكاء، كما ظهر في دراسات أجريت في بعض الدول مثل النرويج والدنمارك وهولندا والسويد وفنلندا وفرنسا والدول المتحدثة باللغة الألمانية.

وقد اقترحت احدى الدراسات عام 2017 التي قام بها نحو (75) خبيراً في مجال أبحاث الذكاء أن هناك أربعة أسباب مفتاحية لفهم تأثير فلن في تغيير درجة ونسبة الذكاء:

- صحة أفضل.
- تغذية أفضل.
- تعليم أكثر وأفضل.
- إرتفاع معدلات المعيشة.

**فسرت دراسة الخبراء النهاية العكسية أو الانحدار في مستويات الذكاء والذي يكشفه تأثير فلن بسبب الخصوبة غير المتناسقة الناتجة عن تأثيرات جينية أو الهجرة أو الخصوبة غير المتناسقة**

وقد فسرت دراسة الخبراء النهاية العكسية أو الانحدار في مستويات الذكاء والذي يكشفه تأثير فلن بسبب الخصوبة غير المتناسقة الناتجة عن تأثيرات جينية أو الهجرة أو الخصوبة غير المتناسقة الناتجة عن تأثيرات الوسائل الاجتماعية والانحدار في مستوى التعليم وتأثير وسائل الإعلام.

**الذكاء – مصطلح ودلالات**

حين تتبعنا البدايات الأولى لتبلور مصطلح الذكاء وشيوعه في الأوساط الاكاديمية والثقافية وجدنا ان الاهتمام ازداد لمضاعفة الجهود وتوحيد الآراء للتعرف الى جوهر المفهوم والوقوف على توصيف دقيق له من خلال الاتفاق على تعريف جامع مانع –كما يرد في المنطق- وفعلا تطورت مفاهيم الذكاء وتطورت مقاييسه، ومع

ذلك ازدادت الفجوات واتسعت دائرة الاشكالات.

لذا نحن نشير الى ان جدلية أو اشكالية الوضوح التام وإيجاد تعريف صريح لمفهوم الذكاء سوف تبقى قائمة، وان الجهود في توصيفه وتفسير أبنيته، ثم إيجاد آليات وأدوات تكميمه وقياسه سوف تبقى عاجزة وناقصة عن الوصول الى الطريقة العلمية والموضوعية، وربما تضيع الحقيقة والمعرفة اللازمة بهذا الخصوص ما لم يرجع المتخصصون الى مرجعية التفكير المنطقي ومحاولة الاستناد الى أدواته في تحديد جوهر المفهوم تحديدًا منطقيًا لا يقبل الزيادة ولا النقصان ولا التداخل.

ويعد مفهوم الذكاء من أكثر المفاهيم الانسانية والسيكولوجية التي يدور حولها الحوار والجدل، ليس فقط بين علماء النفس والمشتغلين بالقياس، وإنما حتى لدى مستعملي اختبارات الذكاء والمختبرين، ويرجع ذلك الى ما ترتب على هذا المفهوم وأساليبه القياسية من تعدد وجهات النظر في المجالين التربوي والاجتماعي، غير ان ذلك لم يمنع علماء النفس من الاستمرار بقياس الذكاء وبناء اختبارات تتميز درجاتها بالثبات وفاعليتها في التنبؤ بما يدل على ان هذه الاختبارات تقيس شيئًا معينًا، إذ اظهرت اختبارات الذكاء ارتباطات مرتفعة تصل الى (80%) بين بعض منها.

**يعد مفهوم الذكاء من أكثر المفاهيم الانسانية والسيكولوجية التي يدور حولها الحوار والجدل**

وهذا ما يؤيد وجهات نظر بعض علماء النفس الذين يؤيدون استعمال اختبارات الذكاء لقياس القدرات الفردية للأشخاص المختبرين.

وأصبحت مسألة ايجاد توصيف وتعريف وتحديد لهذا المصطلح والمفهوم مسألة معقدة وفي ذات الوقت تمثل عنصر ضغط علمي وثقافي حقيقي.

ولا تزال هناك مشكلة تعريف لمصطلحنا الحالي تتمثل بسؤال عام متكرر:

**ما المقصود بمصطلح الذكاء ؟**

وشاع الاعتقاد بوجود هذه المشكلة، وترتب على ذلك مقولة تفيد بعدم وجود اتفاق على تعريف صريح لمفهوم الذكاء بمعناه العلمي، ويذكر النقاد هذه الواقعة التي لا تخلو من الطرافة فقد قامت مجلة علم النفس التربوي الأمريكية منذ اكثر من خمسين عامًا باجراء استفتاء شهير، قد وجهت فيه المجلة سؤالاً الى عدد كبير من قادة حركة القياس العقلي في ذلك الوقت تطلب فيه تحديد معنى الذكاء، وكانت النتيجة أن تلقى محرر المجلة عددًا من الاجابات المختلفة بقدر عدد العلماء الذين اشتركوا في الاستفتاء، وعند مراجعة معظم الإجابات المختلفة التي وردت لهذا الاستفتاء، تبين انها لم تكن تقصد الى تعريف الذكاء بالمعنى المنطقي الدقيق، وإنما كانت مجرد محاولات لتفسير «خصائص الشيء» ومحاولات لتقديم توصيفات نظرية متداخلة، وليست محاولات لتحديد معنى «الكلمة»، فضلا عن ذلك فأن هذه التعريفات تتضمن مصطلحات أو حـدودًا دون تعريف.

**قام الباحث بنفس التجربة، إذ عمد الى اجراء استفتاء علمي تضمن سؤالًا واحدًا لنخبة من التدريسيين والباحثين -تجاوز عددهم (90) متخصصًا**

وفي سياق ومقاصد البحث الحالي قام الباحث بنفس التجربة، إذ عمد الى اجراء استفتاء علمي تضمن سؤالاً واحـدًا لنخبة من التدريسيين والباحثين -تجاوز عددهم (90) متخصصًا -وكان أكثرهم ينتمي الى مؤسسات أكاديمية عراقية وعربية وبمختلف الالقاب العلمية والشهادات وتم التركيز فيها على حملة شهادة الدكتوراه ومن حملة لقب الاستاذية من ذوي الاختصاص الدقيق في»علم النفس، وعلم النفس المعرفي، وعلم النفس التربوي، والقياس والتقويم، والتربية الخاصة، وطرائق التدريس؛ فضلا عن بعض الاختصاصات القريبة الاخرى».

وكان سؤال الاستفتاء العلمي واضحاً ومحدداً، ويبحث في تحديد تعريف علمي لمفهوم الذكاء ويمكن أن يكون تعريفًا محكمًا ووافيًا للمفهوم، ويمكن أن يكون التعريف من وضع الاستاذ وفقًا لخبرته، أو يكون مستندًا الى أحد الاتجاهات النظرية العريقة او الرائدة.

ولم تكن نتيجة التجربة الحالية تختلف عن نتيجة التجربة الاولى (تجربة المجلة الأمريكية)، فقد وردت إجابات متباينة الى حد كبير جدا، ولم تتفق في شكلها او مضمونها على وصف موحد –او حتى متقارب- لمفهوم الذكاء، وقد أخذت معظم التوصيفات والتعريفات الصبغة الأصل في طبيعتها، أي انها كانت متناغمة الى حد شبه تام مع الافكار والآراء والاوصاف التي ولدت في أمهات النظريات والنماذج التفسيرية التقليدية للذكاء.

وقد افرزت هذه التجربة مجموعة من الاستنتاجات والتصورات لدى الباحث وصاحب التجربة، منها:

- عدم وجود اتفاق على تحديد معنى علمي موحد ومتسق لمفهوم الذكاء.
- عدم وجود وضوح في توصيف وظائف المصطلح، وكذلك غياب لبيان مساحة نشاطه الحقيقية والواقعية.
- الاتكاء المُبالغ فيه على الاتجاهات النظرية الرائدة وآراء العلماء السابقين في توصيف مصطلح الذكاء وتحديد تفسير علمي له.
- غياب محاولات التجديد في طرح تصور نظري تفسيري لمفهوم الذكاء وفق متطلبات الحداثة والتغير لقرابة (120) سنة بدءً من محاولات العالم القدير تشارلز سبيرمان.
- غياب محاولات التفرد او الاستقلال في تقديم صورة نظرية عربية او عراقية لتوصيف وتفسير مفهوم الذكاء البشري، على الرغم من توافر الامكانات العلمية والخبراتية اللازمة لذلك.

إن فكرة تباين الاشخاص من حيث الذكاء موجودة منذ زمن، وتولد جدل كبير حول معنى الذكاء، وان علماء النفس لم يتوصلوا الى اتفاق محدد حول مفهوم الذكاء على الرغم من تعدد التصورات حول المفهوم واختلافها والذي كونها كل عالم حول الذكاء، إلا ان التعريفات معظمها تتحدث عن **قدرة الفرد**، ومن المتابعة وامعان النظر أكثر يبدو غياب الاتفاق على معنى وتحديد لـ

**إن فكرة تباين الاشخاص من حيث الذكاء موجودة منذ زمن، وتولد جدل كبير حول معنى الذكاء**

مفهوم قدرة الفرد.

بشكل عام يمكن حصر أبرز التعريفات التي أشارت اليها المدارس النظرية وجاءت ضمن سياقات وتلميحات او حتى تصريحات العلماء الدقيقة، ومنها ما أشار الى انه القدرة الكلية للفرد على العمل الهادف والتفكير المنطقي والتفاعل الناتج مع البيئة.

ومنها ما أشار الى انه قدرة الفرد الكلية لأن يعمل في سبيل هدف، وأن يفكر تفكيراً رشيداً، وأن يتعامل بكفاية مع بيئته، ويمثل موهبة المواهب وقدرة القدرات أو هو المحصلة العامة للقدرات العقلية والمعرفية جميعها.

**منها ما أشار الى انه قدرة الفرد الكلية لأن يعمل في سبيل هدف، وأن يفكر تفكيراً رشيداً، وأن يتعامل بكفاية مع بيئته**

وتوجد مجموعة أخرى من التعريفات توحد بين الذكاء وبين القدرة على التكيف أو التوافق مع البيئة التي تحيط بالفرد، منها ما يشير الى انه القدرة على الإفادة من الخبرة للتوافق مع المواقف الجديدة، أو بتعريف آخر هو قدرة الفرد على التكيف بنجاح مع ما يستجد في الحياة من علاقات.

ويمكن إجمالاً وضع تلخيص كما ورد عن أحد الباحثين لأهم ما جاء من أفكار في تعريفات الذكاء حسب المحاور الآتية:

- **الذكاء بمعناه التكيفي**.. إذ يتضمن تعديل سلوك الفرد كي يتمكن من انجاز مهمات جديدة بنجاح.
- **الذكاء بمعناه القدرة العقلية العامة**.. النشاط العقلي الكلي ذو السيادة المطلقة على جميع العمليات العقلية وسائر الأنشطة المعرفية.
- **الذكاء بمعناه التميز بنشاط معين**.. ويشير الى امكانية التفرد والتميز بأحد الأداءات دون الآخر (فروق فردية ذاتية).
- **الذكاء بمعناه وارتباطه بالقدرة على التعلم**.. فالأفراد الأذكياء يتعلمون بشكل أسرع وأسهل من الأفراد غير المتصفين بالذكاء.
- **الذكاء بمعناه وارتباطه بالثقافة التي ينشأ فيها الفرد**.. فالسلوك الذكي في ثقافة ما ليس بالضرورة أن يكون سلوكًا ذكيًا في ثقافة أخرى.

- **الذكاء كتوظيف للمعرفة السابقة**.. في تحليل المواقف الجديدة والعمل على استيعابها للإفادة منها في مواقف جديدة.
- **الذكاء بمعنى مهارات التنسيق والتفاعل**.. وتمثل التناغم الفاعل بين مجموعة متباينة من العمليات العقلية المعقدة.

وعلى الرغم من عدم الاتفاق على معنى موحد وثابت للذكاء إلا ان ملامحه تتضح وتتبلور وترتبط بشكل كبير مع العقل والقدرات العقلية كالقدرة على التكيف العقلي مع ظروف الحياة الجديدة، إضافة الى القدرة على الافادة من التجارب والخبرات السابقة بحل المشكلات الجديدة، والقدرة على التفكير، والتحليل، والتخطيط، وحل المشكلات، والإستنتاج السليم، فضلا عن قدرة الفرد على سرعة التعلم واستخدام ما قام بتعلمه بالشكل السليم والمفيد، ويرتبط الذكاء مع الاحساس بالآخرين وتفهم مشاعرهم، فلا بد للفرد أن يمارس حياته الاجتماعية بالشكل السليم حتى يعد وينظر إليه كشخص ذكي، كذلك يوصف الشخص بأنه ذكي حين يقاس بمقدار قدرته اللغوية ولباقته وثقافته واتقانه لعدة لغات أجنبية، فضلا عن ابداعه بالكتابة والحديث والخطابة.

**على الرغم من عدم الاتفاق على معنى موحد وثابت للذكاء إلا ان ملامحه تتضح وتتبلور وترتبط بشكل كبير مع العقل والقدرات العقلية**

وكذلك الذكاء المتمثل بقدرة الشخص على حل المشكلات المنطقية والمعادلات الرياضية، وكل ما يتعلق بالمشكلات العلمية وطرائق حلها، والذكاء ببعده الموسيقي المعتمد على فهم الموسيقى والتأليف والابداع بهذا المجال، والذكاء الذي يُمّكن صاحبه من التعرف على الاشكال والأنماط، وفهم المعضلات البصرية وحلها بالشكل المناسب، والذكاء المعتمد على الجسد من خلال تحريكه بالشكل المناسب لحل مشكلات معينة.

**المصادر**

1- علي ، عبد السلام علي .(1995). تاريخ علم النفس «إتجاهاته القديمة والحديثة». القاهرة : النهضة المصرية.

2- عيسوي ، عبد الرحمن محمد .(1993). علم النفس والإنسان. بيروت : الدار الجامعية.

3- الغريب ، رمزية .(1957). إختبار الإستعداد للمهن التعليمية . القاهرة : الإنجلو المصرية.

4- فراير ، دوكلاس ،. علم النفس العام . ط3 ، ترجمة : إبراهيم يوسف المنصور (1981) ، بغداد.

5- فوس ، برايان . آفاق جديدة في علم النفس .ترجمة: فؤاد أبو حطب ( 1972)،القاهرة :عالم الكتب.

6- قاسم ،أنسي محمد احمد ، وحمزة ،جمال مختار .(1997). الفروق الفردية والتقويم. القاهرة .

7- مجموعة من العلماء.(2004). المعجم الوسيط . ط4 ، مصر- مجمع اللغة العربية،الشروق الدولية.

8- Anastasi, A. (1988). Psychological Testing. 6th ed. New York: Macmillan Publishing Co. Inc.

9- Bennett, G, and et.al. (1990). Differential Aptitude Tests Direction for Administration. 5th Ed, New York.

10- Blum, Milton L. (1968).Industrial Psychology. The Theoretical and Social foundations, Harber International Edition.

11- Bursos, O. K. (1954). The Forth Mental Measurements Year Book New York: The gryphon press.

12- Chaplin, J.P. (1971). Dictionary of psychology. 4th ed, New York.

13- Chauhan, S.S. (1996). Advanced educational psychology. 6th ed, New Delhi, visas publishing house.

14- Chester, W. H.(1960). Encyclopedia of Educational Research. 3rd ed, New York – Macmillan.

15- Cronbach, L. (1979). Essentials of psychological testing. New York: Harper and Row publishers.